جملة التحضيض في السور المدنية

- دراسة نحوية دلالية -

د. بلقاسم دفه
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة بسكر

ملخص:

يتناول هذا البحث جملة التحضيض التي هي قسم من أقسام الجملة الطلبية، مستعرضا الفرق بين مفهومي كل من التحضيض والعرض، ثم عالج أنماط جملة التحضيض في السور المدنية ودلالتها.

وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج، أهمها: ورود أداتي التحضيض "ألا"، و"لولا" من مجموع الأدوات، واستخدمت لغرض الحث، وطابقت الأحكام التي أقرها النحاة.

Résumé:

This study deals with sentences of exhortation which is a part of the sentence related to requesting. The study also treats the difference between the concepts of exhortation and exposition. It ends with the treatment of the types of exhortative sentence in the sourat of Medina and their meanings.

المقدمة:

ذكر النحاة أدوات العرض والتحضيض، وهي: هلاَّ، ولولا، وألا، ولوما، ولو.[1] وتدخل هذه الأدوات على الفعل فتفيد الحض والطلب، وتتجه إلى المخاطب، والغائب، والمتكلم، "ولا تدخل إلاّ على فعل ماض أو مستقبل".[2]

ويكون ما بعد هذه الأدوات مطلوبا؛ فالجملة بعدها طلبية، فإذا كان الطلب رقيقا لينا فهو عرض، وإذا كان الطلب شديدا فيه حث وتحريض فهو تحضيض، يقول ابن فارس: "والعرض والتحضيض متقاربان إلاّ أن العرض أرفق، والتحضيض أعزم".[3]

وجاءت هذه الجملة في أربع عشرة 14 جملة، توزع على نمطين:

النمط الأول: الأداة ألا.

وورد هذا النمط في موضعين، ويتجلى في صورتين:

الصورة الأولى: أداة تحضيض ألا + جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه+مفعول به+صفة (جملة فعلية ماضوية).

وردت في قوله تعالى: { أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ}.[4] أداة التحضيض"ألاَ" مركبة من همزة الاستفهام، و"لا" النافية.[5] ودخلت على فعل مضارع فأفادت الحث.[6] ودل الفعل على زمن الاستقبال. والذي دفع النحاة إلى اعتبار التحضيض يتعين معه المضارع للاستقبال، لأنه طلب في المعنى.[7] ومعنى الجملة: هلا تقاتلون المشركين وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها. وفي الجملة حث وتحريض للمؤمنين على قتال مشركي مكة الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة المناصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.[8] وقد دلت الجملة صراحة على أن قتال المشركين الناكثين العهد كان لسبب نكث الإيمان، لأن نكثه خطيئة كافية، تستوجب قتالهم. فلما أمر تعالى بقتال أهل الكفر، أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم، وذلك لإثارة روح الجهاد في نفوس المؤمنين لمناصرة الله ورسوله.

الصورة الثانية: أداة عرض (ألا)+جملة فعلية مضارعية (مسند+مسند إليه+مفعول به–جملة مصدرية).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: { أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُم}.[9] أداة العرض"ألا" مركبة من همزة الاستفهام، وأداة نفي"لا"، والعرض "ليس بابا على حدة، وإنما هو من مولدات الاستفهام".[10] وورد بعد "ألا" فعل مضارع مسند إلى واو الجماعة، والمراد به أبو بكر الصديق، إذ الخطاب موجه إليه، وإنما جيء بالجمع للتعظيم. فقد روي في سبب نزول الآية أنها نزلت في أبي بكرt حين حلف أن لا ينفق على مسطح بن أثاثة أبدا بعدما قال في عائشة رضي الله عنها ما قال، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين، ونزلت هذه الآية إلى قوله: { أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُم }. قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة.[11]

ومعنى الجملة: ألا تريدون أن يستر الله ذنوبكم بأفضاله عليكم، فإن الجزاء من جنس العمل، فكلما تغفر ذنب من أذنب إليك، يغفر الله لك. أي: كما تحبون غفران الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم. وقال جل العلماء: إن في الآية دليلا على أن من حلف على أمر لا يفعله، ورأى فعله أفضل منه كفر عن يمينه، وفعل الذي هو خير.[12] وفي مضمون الجملة ترغيب في العفو، ووعد عليه بالمغفرة من الذنوب، وحث على الأخلاق الكريمة.

النمط الثاني: الأداة (لولا) ورد هذا النمط في اثنتي عشرة (12) جملة، توزع وفق الصور الآتية:

الصورة الأولى: أداة تحضيض (لولا) +ظرف زمان(إذْ)+مضاف إليه (جملة فعلية ماضوية)+جملة فعلية ماضوية.

من هذه الصورة قوله تعالى: { لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوه ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا}.[13]

أداة التحضيض "لولا" بمعنى "هلاّ" تفيد التوبيخ كما هو شأنها إذا وليها الفعل الماضي.[14] وهو –هنا–في قوله:"ظن المؤمنون". وأما "إذ سمعتموه" فهو ظرف متعلق بفعل الظن، فقدم على عامله، لأن محل التوبيخ جملة "ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا".

فأسند الفعل في قوله: "سمعتموه" إلى جميع المخاطبين المؤمنين. وخص بالتوبيخ منهم من سمعوا خبر الإفك ولم يكذبوه.

وقوله تعالى: { ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا}.أي: بإخوانهم المؤمنين، وقيل: "المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإذا كان ذلك يبعد فيهم، فكانوا يقضون بأنه في صفوان وعائشة أبعد لفضلهما رضي الله عنهما".[15] وفي التصريح بلفظ الإيمان دلالة على أن المؤمن لا يظن بأخيه المؤمن إلاّ خيرا. وعدل عن ضمير الخطاب في إسناد الفعل "ظن" إلى المؤمنين والمؤمنات للالتفات، لأن مقتضى ظاهر التركيب أن يقال: لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا. فالعدول كان للاهتمام بالتوبيخ، لأن أسلوب الالتفات نوع من العناية بالخبر. ومعنى التركيب: هلاّ سمعتم كلام الأفاكين في عائشةψ ظننتم بها خيرا عملا بمقتضى الإيمان الذي يحمل على حسن الظن. وفي هذا المعنى تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع مقالة في أخيه أن يبني الأمر فيه على ظن الخبر، وأن يقول بناء على ظنه: "هذا إفك مبين". وتكررت هذه الصورة في قوله: { وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا}.[16]

هذا التركيب – هو الآخر– مسوق لتوبيخ المؤمنين الذين تناقلوا خبر الإفك. وتكرر التوبيخ زيادة على السكوت عليه، لأن الشأن أن يقول القائل في نفسه: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا. ويقول ذلك لمن يتكلم معه تجنبا للخوض في القذف بغير بينة.

ويعد هذا التركيب تكريرا جزئيا لما ورد في الآية السابقة – من هذه الصورة – فبالإضافة إلى مساهمة هذا التكرير في تماسك الخطاب، فإنه يؤدي وظيفة أخرى هي تأكيد الحدث الذي كان من الواجب أن يكذب عند سماعه، لأنه ينادي حاله ببهتانه.

الصورة الثانية: أداة تحضيض (لولا)+جملة فعلية ماضوية (مسند+مسند إليه+جار ومجرور (مكرر) +مضاف إليه).

تتجلى هذه الصورة في قوله تعالى: { لوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ}.[17]

الأداة "لولا" بمعنى "هلاّ" للتوبيخ، لدخولها على فعل ماض. والضمير في "جاءوا" لأهل الإفك بصريح قوله–في الآية السابقة–{ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ}. والضمير في

"عليه" عائد على الإفك، والتقدير: هلاّ جاء الأفاكون على ما قالوه ببينة، وهي أربعة شهداء يشهدون بما قالوه. وهذا مسند إلى الحكم المتقرر من قبل في أول السورة بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} .

وفي مضمون الجملة توبيخ للعصبة الذين جاءوا بالإفك وذم لهم.

الصورة الثالثة: أداة تحضيض (لولا) +جملة فعلية ماضوية (مسند+جار ومجرور+مسند إليه+جار ومجرور).

وردت في قوله تعالى: { لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ}.[18]

تتألف الجملة من أداة تحضيض "لولا" بمعنى "هلاّ"، و مسند فعل ماض مبني للمجهول "أُنْزِلَ"، وجار ومجرور "عليه" متعلق بـــ"أنزل"، و مسند إليه؛ نائب فاعل "آية"، و جار ومجرور "من رب" مضاف إلى الهاء، وهو متعلق بصفة محذوفة من "آية".

وهذا القول مصدره الكافرون بصريح قوله في هذه الآية:{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ...} .

و"لولا" –هنا–تحضيضية إلاّ أن مضمون الجملة لا يفيد التحضيض، إنما الكفار يموهون بالتحضيض أنهم راغبون وحريصون في نزول آية من الله غير قرآنية، ليؤمنوا، وما هم بمؤمنين؛ فهم كاذبون فيما قالوا إذ لو أوتوا آية كما يقترحون لكفروا بها، كما قال في آية أخرى:[وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ].[19] فرد عليهم الشبهة بهذه الآية. والآية هنا"يراد بها الأشياء التي سمتها قريش كالملك والكنز وغير ذلك."[20]

ومعنى الجملة: هلاّ يأتينا الرسول بآية من ربه كما أرسل الأولون، مثل عصا موسى ومائدة عيسى، فيجعل لنا الصفا ذهبا، وأن يزيح عنا جبال مكة، ويجعل بدلها أنهارا ومروجا.

ويلحق بهذه الصورة ما ورد من قوله تعالى:[وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ] [21].

تتألف الجملة من أداة تحضيض "لولا" تفيد التمني، ومسند فعل ماض؛ مبني للمجهول "نُزِّلت"، ومسند إليه؛ نائب فاعل "سورة". وتتسم هذه الجملة بالاختصار، حيث حذف المسند إليه (الفاعل)، لأنه معلوم، وحذف وصف "سورة" في حكاية قول المؤمنين "لولا نزلت سورة" لدلالة ما بعده عليه من قوله: "وذكر فيها القتال"، لأن قوله في هذه الآية: "فإذا أنزلت

سورة". أي: كما تمنوا. فاقتضى أن المطلوب سورة يشرع فيها قتال الكافرين. فالمعنى: هلاّ ينزل الله سورة يذكر فيها الجهاد وفرضه، أي: هلاّ نزلت سورة يأمرنا فيها ربنا بقتال الكفار حرصا على ثواب الجهاد. فالمؤمنون كانوا حريصين كل الحرص على ظهور الإسلام وعلو مكانته، وتمني قتل العدو، وكانوا يستأنسون بنزول الوحي، ويستوحشون لإبطائه، ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم.

الصورة الرابعة: أداة تحضيض(لولا)+جملة فعلية ماضوية+جملة فعلية مضارعية(تعليلية) +أداة عطف+جملة فعلية مضارعية(تعليلية)+جملة اسمية(تعليلية).

تبرز هذه الصورة في قوله تعالى: { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.[22] دخلت "لولا" التحضيضية على فعل ماض "نفر" في معنى المستقبل، لأن الجملة تحمل معنى الطلب والحث.

وجيء بالتعليل لبيان سبب النفير، والمعنى: فهلاّ تخرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة، وتبقى مع النبيρ جماعة ليتفقهوا في الدين، يعنى الفرقة التي قعدت مع الرسولρ ليتعلموا القرآن والسنة، ويحذروا قومهم إذا رجعوا إليهم من الجهاد، ليعملوا عملا صالحا. ومعنى هذا أن الضميرين في "ليتفقهوا" و "لينذروا" يعودان إلى الفرقة المتأخرة، وحثها تعالى على التفقه لترجع إلى المتخلفة فتحذرها.

وقال ابن عباس: الآية في البعوث والسرايا.[23] وقال بعض المفسرين: هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من إلزام الناس كافة النفير والقتال.[24] فعلى هذا وعلى قول ابن عباس يكون الضمير في "ليتفقهوا" عائدا على الطائفة المقيمة مع النبيρ، ويكون معنى "ولينذروا قومهم" أي: الطائفة أو الجماعة النافرة إلى الغزو، يعلمونهم بما جد من أحكام الشريعة. ومن ثم تُقدَّرُ جملة محذوفة، دل عليها معنى التركيب، أي : هلاّ نفر من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت أخرى ليتفقهوا في الدين مع النبيρ، ولينذروا قومهم حين عودتهم من غزوتهم.

وقال الزمخشري معنى: "ليتفقهوا في الدين" ليتكلفوا الفقاهة فيه، ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها. ومعنى: "ولينذروا قومهم" ليجعلوا غرضهم ومرمى دهمتهم في التفقه

إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم".[25] ويدخل في معنى الإنذار تعلم الناس ما يميزون به بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، وذلك بأن يلقن العالم علوم الدين للمتعلمين.

وقد جعلI الهدف من هذا التفقه في الدين، وإنذار من لم يتفقه، فجمع بين المقصدين الصحيحين، وهما تعلُّم العلم وتعليمه حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، لأن الجدال بالحجة هو الأصل، والمقصود من البعثة. والظاهر أن الآية جاءت للحث على طلب العلم والتفقه في الدين، وأنه لا يمكن أن يخرج كل الرجال للغزو، فتخلو بلادُهم منهم، ويستولي عليها وعلى نسائهم وأطفالهم أعداؤهم. ويكون المعنى: هلاّ نفر جماعة قليلة منهم فكفوهم النفير، وقامت كل طائفة بمهمة؛ هذه تقاتل الأعداء، وهذه تعلم العلم. فذكر تعالى العلة من النفير، وهي التفقه في أمر الشريعة، ثم إخبار المقيمين بما علموه.

الصورة الخامسة: أداة تحضيض(لولا)+ جملة مضارعية(مسند+ مفعول به+ مسند إليه)+أداة عطف+جملة مضارعية(مسند+ مفعول به+ مسند إليه).

تتضح هذه الصورة في قوله تعالى: [وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ].[26]

صَدَرَ قوله: "لولا يكلمنا الله..." من "الذين لا يعلمون" بصريح اللفظ في الجملة السابقة من هذه الآية.

واختلف في المراد بالاسم الموصول، فقال ابن عباس: المراد بـــ"الذين لا يعلمون" اليهود.[27] وقال آخرون: المراد بذلك مشركو العرب[28]. وقال مجاهد: النصارى. ورجحه الطبري، لأنهم المذكورون في الآية أولا.[29] والظاهر من قوله: "الذين لا يعلمون" أنه تعالى يشير إلى جميع تلك الطوائف، لأنهم كلهم قد قالوا تلك المقالة. واختلافهم في الموصول يدل على اختلافهم في السبب، فإن كان المراد بالموصول الجهلة من العرب، فقد نفى عنهم العلم، لأنه لا كتاب لهم، ولا هم أتباع نبي، يبين لهم ما يليق بالألوهية. وإن كان المراد بالموصول اليهود أو النصارى، فقد نفى عنهم العلم لانتفاء نتائجه، وهو الإتباع له، والعمل بمقتضى قوانينه وأحكامه.

وأرادوا بـــ"لولا يكلمنا الله" كما كلم موسى ، وكما يكلم الملائكة. وقال القرطبي المعنى: هلاّ يخاطبنا الله بنبوة محمد، فنعلم أنه نبي فنؤمن به[30]. وقال ابن كثير: "وهو ظاهر السياق "[31].

وقال أولئك تلك المقولة استكبارا وتعنتا بأن عَدُّوا أنفسهم أحرى بالرسالة السماوية وبسماع كلام الله تعالى. وهذا يدل على جهالتهم الجهلاء.

وأرادوا بقولهم: "أو تأتينا آية "مطلق آية، فالتنكير للنوعية، وحينئذ فهو مكابرة وجحود لما جاءهم من الآيات ضمن الرسالة المحمدية، وحسبك بأعظمها، وهو القرآن الكريم.

ونظير هذه الجملة قوله:[لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ].[32]

هذا القول كان من لدن يهود المدينة والمنافقين فيها، كما قال ابن عباس[33]، إذ كانوا يتناجون على مرأى من المؤمنين. وقد بين القرآن أحوالهم-في الآية السابقة عن هذه-في قوله:[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ].

والمعنى: هلاّ يعذبنا الله بسبب كلامنا الذي نتناجى به في ذم الرسولρ ونحو ذلك. أي يقولون: لو كان محمد نبيا حقا كما يزعم لغضب الله علينا وعذبنا بسبب ذمنا له وإساءتنا إليه. وهو ما اختصره الله من قولهم: "لولا يعذبنا الله بما نقول". واستخدم التحضيض مجازا عن جحد رسالتهρ.

الصورة السادسة: أداة تحضيض (لولا)+ جملة فعلية مضارعية (مسند+ مفعول به+ مسند إليه+ أداة عطف+ معطوف (مسند إليه)+ جار ومجرور+...).

وردت هذه الصورة في قوله: [لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ].[34]

الضمير"هم"-الذي أدى وظيفة المفعول به في الجملة-عائد إلى خطاب سابق يستغرق أربع آيات، وهو لأهل الكتاب. وهناك تطابق بين الضمير"هم"، وبين المحال إليه تذكيرا وجمعا.

والتحضيض يتضمن التوبيخ للربانيين والأحبار وعامة أهل الكتاب على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله تعالى والأمر بالمعروف.

والربانيون جمع رباني، وهو العالم المنسوب إلى الربY وعلى هذا يكون الرباني منسوبا للرب على غير قياس. والأحبار جمع حَبْر، وهو العالم في الملة الإسرائيلية[35].

وقال بعض العلماء: الربانيون: هم علماء النصارى، والأحبار هم علماء اليهود[36].

وعطف "الأحبار" على "الربانيون"، فهم في حكم واحد من حيث ما نسب إليهم في عدم نهيهم. واقتصر في توبيخ علمائهم على ترك نهيهم عن قول الإثم، وهو الكذب، وأكلهم السحت، أي:الرشوة والربا، لأنهم تركوا الواجب. ولم يشر القرآن إلى العدوان، لأنه يزجرهم عنه المؤمنون. وأخرج الطبري عن ابن عباس، قال: "ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية(37)"، وهي أخطر على العلماء، لأن سكوتهم عن المنكر مذموم. ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكبه.

الصورة السابعة: أداة تحضيض (لولا)+ جملة فعلية ماضوية (مسند+ مسند إليه+ مفعول به+ جار ومجرور+ صفة).

من هذه الصورة قوله تعالى:[لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ].[38]

الأداة (لولا) دخلت على فعل ماض، وهو بمعنى المستقبل، فأفادت الحث، أي: هلاّ تركتنا حتى نموت بآجالنا القريبة. والأجل القريب–هنا–هو موتهم على فرشهم وفي منازلهم، كذا قاله المفسرون[39]. وقال الزمخشري: في معنى الجملة "استزادة في معنى الكف، واستمهال إلى وقت آخر"[40]. وهذا المعنى يحسن إذا كان القول صادرا من قبل اليهود أو المنافقين، وأما إذا صدر من فئة من المؤمنين، فإنما طلبوا التأخر والاستمهال إلى وقت ظهور الإسلام، لتقوى شوكتهم[41]. ولم يقولوا ذلك كراهة لأمر الله، ولكن لخوفهم من بأس المشركين ولركونهم إلى الدنيا وإيثار نعيمها على ما يكون من طبع البشر. وقال الطبري عن مجاهد: إن الآية نزلت في اليهود[42]. وعليه تكون الآية مثالا ضربه الله للمؤمنين الذين أوجب عليهم القتال تحذيرا لهم في الوقوع في مثل ما وقع فيه اليهود. والظاهر من السياق أن القتال المتحدث عنه – في هذه الآية– في قوله:[وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ]؟هو

أول قتال أمر به المؤمنون. والآية ذكرتهم بذلك في وقت نزولها حين الاستعداد لأمر القتال بفتح مكة. فهي تحكي قول فئة منهم لشدة خوفهم من القتال، فقالوا: ربنا لما فرضت علينا القتال؟ لولا تركتنا نموت موتا طبيعيا، ولو بعد أجل قريب، لأن القتل سفك الدماء. وهذه الجملة نظير قوله تعالى: [لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ][43]. حُقَّ للفعل بعد"لولا" أنْ يأتي مضارعا، وإنما جاء ماضيا لتأكيد وقوعه في قول القائل حتى كأنه تحقق. وقرينة ذلك ترتيب فعلي"فأصدق وأكن"عليه؛ فهما يدلان على المستقبل.

والقائل هذا القول هو المؤمن بدليل السياق، وقد سأل ربه الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحا[44]، لعله يغفر له ذنوبه، ويدخله جناته.

ووصف"أجل"بـــ"قريب" تمهيدا لقبول الاستجابة بناء على ما هو معهود لدى البشر من أن الأمر القليل أرجى لأن يستجاب له. وانتصب فعل "فأصدّق" على إضمار"أن" المصدرية إضمارا واجبا. وقرأ أُبَي: "فَأَتَصَدَّقَ"[45]على الأصل. وقرئ: "وأكونَ"[46] بالنصب عطفا على موضع"فأصدق". والمعنى: هلا أمهلتني -يا رب- وأخرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة، فأتصدقَ بمالي وأكونَ من الصالحين.

ويتضمن التحضيض معنى التمني. وهذا يدل على أن كل مفرط في شؤون الدنيا يندم حين الاحتضار، ويسأل ربه طوال المدة، ولو زمنا يسيرا ليستدرك ما فاته من عمل الخير.

نتائج البحث: أسفر الوصف عما يأتي:

1-ورود (ألاَ)، و(لولا) من مجموع أدوات التحضيض. وقد جاء بعد الأداة (ألا) فعل مضارع. أما (لولا) فجاء بعدها ماض ومضارع.

2-استعملت أداة العرض(ألاَ) المفتوحة الهمزة المخففة اللام للعرض والتحضيض كذلك، حيث دلت على طلب الفعل بشدة.

3-مطابقة نظام الجملة ودلالتها لما أقره النحاة؛ فقد جاء بعد الأداة (لولا) ماض فأفادت التوبيخ واللوم. وجاء بعدها مضارع فأفادت الحث، كما أن الأداة (ألاَ) ورد بعدها مضارع فأفادت الحث.

الهوامش:

ينظر، سيبويه، الكتاب، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988، والجزء الرابع، ط2، 1982. 98/1، والإستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995. 387/2، والإسفراييني، لباب الإعراب، لباب الإعراب، تحقيق بهاء الدين عبد الرحمن، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1984، ص.467.

[2] الزمخشري، المفصل، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، د.ت. ص315، وينظر، الإسفراييني، لباب الإعراب، ص467.

[3] الصاحبي في فقه اللغة الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص140، وينظر، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.ص.118.

[4] التوبة، 13.

[5] ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987. ص321، وتمام حسان، روائع القرآن، عالم الكتب بالقاهرة، ط1، 1993. ص.80

[6] ينظر، الإستراباذي، شرح الكافية لابن الحاجب، 387/2، وعبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص.118

[7] ينظر، المالقي، رصف المباني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1975. ص297، وابن مالك، التسهيل، حقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990. ص.5

[8] ينظر، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العليمة، بيروت، ط1، 1992 ص200، والسمرقندي، بحر العلوم، ، حققه وعلق عليه علي معوض، وآخران، دار الكتب العليمة، بيروت، ط1، 1993 35/2، والبغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، 272/2، والرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990 187/15.

[9] النور، 22.

[10] السكاكي، مفتاح العلوم، ص.321

[11] ينظر، السمرقندي، بحر العلوم، 433/2، 434، والجصاص، أحكام القرآن، ضبط وتخريج عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994 399/3، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1984، 24/6، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985، 207/12، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أشرف على اتطبع والتصحيح لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1980 75./5

[12] ينظر،الجصاص، أحكام القرآن، 399/3، والقرطبي، الجامع، 208/12، والثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حققه أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، 442./2

[13] النور، 12.

[14] ينظر، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص119، وعباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول والثاني دار المعارف بمصر، ط8، 1986، والثالث والرابع، دار المعارف بمصر، ط7، 1986 514./4

[15] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حقق الجزء الأول وعلق عليه الرحالي الفاروق وآخرون، الدوحة، ط1، 1977، وحقق الأجزاء من 2 إلى 15، السيد عبد العال السيد إبراهيم، الدوحة، ط1، 1991، 458/10، وينظر، القرطبي، الجامع، 202./12

[16] النور، 16.

[17] النور، 13.

[18] الرعد، 7.

[19] الإسراء، 59.

[20] ابن عطية، المحرر الوجيز، 126/8، و ينظر، أبو حيان، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض؛ وشارك في تحقيقه زكرياء عبد المجيد النوتي، أحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993 360./5

[21] محمد، 20.

[22] التوبة، 122.

[23] ينظر، تنوير المقباس، ص.168

[24] ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 80/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 116./5

[25] الكشاف، 221./2

[26] البقرة، 118.

[27] ينظر، تنوير المقباس، ص 21.

[28] ينظر، الطبري، جامع البيان، 560./1

[29] ينظر، المصدر السابق، 560./1

[30] ينظر، الجامع لأحكام القرآن، 92./2

[31] تفسير القرآن العظيم، 283./1

[32] المجادلة، 8.

[33] ينظر، تنوير المقباس، ص.583

[34] المائدة، 63.

[35] ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 209./6

[36] ينظر، الماوردي، النكت والعيون تفسير الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، 50/2، والبغوي، معالم التنزيل، 49./2

[37] جامع البيان، 638./6

[38] النساء، 77.

[39] ينظر، الطبري، جامع البيان، 173/5، وابن عطية، المحرر الوجيز، 137/4، وأبو حيان ، البحر المحيط، 310./3

[40] الكشاف، 544./1

[41] ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 137/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 126./5

[42] ينظر، جامع البيان، 174./5

[43] المنافقون، 10.

[44] ينظر، القرطبي، الجامع، 130./18

[45] ينظر، ابن عطية، المحرر الوجيز، 468/14، والرازي، مفاتيح الغيب، 18./30

[46] ينظر، ابن خالويه، الحجة، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1996 ص 346، والقيسي، الكشف، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1984 322/2، والداني، التيسير في القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتوبرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996 ، ص 171، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ، 388/2.